اللسانيات التوليدية والتطور البيولوجي للغة

د. حسين الزراعي ❖

■.. تعد اللسانيات التوليدية التي طورها عالم اللسانيات (شومسكي) واحدة من أكبر نظريات اللغة المعصارة وأكثرها تفرعاً وامتداداً، وأجداها لمعالجة قضايا اللغة والمقارنة بينها.

وقد مرت اللسانيات التوليدية منذ كتاب «المباني التركيبية» (شومسكي ١٩٥٧) بمراحل وتمفصلات مهمة، عُرفت المرحلة الأولى منها بالنظريات المعيارية، وتلتها المرحلة الثانية التي عُرفت بمرحلة الربط العاملي (شومسكي ١٩٨٠م – ١٩٨٩م)، ثم جاءت مرحلة ثالثة أكثر نضجاً، عبّر عنها كتاب «المبادئ والوسائط» (شومسكي ١٩٨٩م)، وتلت بعد ذلك المرحلة الحالية التي أكدت أن التوليدية قادرة على الاستمرار والامتداد، وهي مرحلة «البرنامج الأدنى»، وتروم النظرية التوليدية تحقيق كفايتين: الكفاية الوصفية، والكفاية التفسيرية، الأولى تعنى بوصف اللغات الخاصة وصفاً كافياً (ورصد مظاهر الاختلاف بين اللغات)، وتركز الثانية على المقارنة بين اللغات انطلاقاً من مبادئ النحو الكلي.

تعد النظرية التوليدية ذات طبيعة بيولوجية وطبيعة حاسوبية تقنية.

أولاً: طبيعتها البيولوجية: تنطلق التوليدية من افتراض أن اللغة مكون من مكونات الذهن الانساني، وهي ممثلة بعضو بيولوجي خاص بعملية اللغة والكلام وهو ما يعرف بجهاز اكتساب اللغة أو (ملكة اللغة)، على هذا النحو تكون (م. ل) أحد مكونات الذهن البشري، وهو المكون المخصص للغة الانسانية، وتعد (م. ل) موهبة نظرية حيث يولد الطفل وهو مزود بها، ولديه القدرة على مقولة الشويش الذي يسمعه وتحويله الى لغة لسانية.

(م. ل) على هذا النحو عبارة عن عضو بيولوجي يتوقع له أن يعمل بطريقة مشابهة لأعضاء الجسم الأخرى، فإذا كانت وظيفة العين – على سبيل المثال – هي الرؤية فإن وظيفة (م. ل) هي اللغو.

والتساؤل ينشأ عن الكيفية التي ينجز بها كل من الابصار (الرؤية) واللغو (الكلام)، فبالنسبة للعين هناك بروتين داخل عدسة العين يعمل على كسر الضوء الذي بسبب خاصية الإبصار، ملكة اللغة عندئذ شأنها شأن أي عضو آخر لها خصائصها المستقلة بيولوجياً، وكأي عضو آخر لها حالة أولية يرمز لها بـ (ح٥) التي تعبر عن الجينات في حالتها الأولية، وهذه الملكة عرضة لتأثير المحيط، بحيث يتم التحول فيما بعد من (ح٥) الأولية الى الحالة الثانية المستقرة.

الحالة الأولى هي الحالة المشتركة بين كل اللغات (خصائص النحو الكلي)، والحالة الثانية هي الحالة الخاصة بلغة بعينها، فإذا أصبحت ملكة «زيد» في الحالة الثانية (لغة) فإنه يمكن القول إن «زيداً» أصبح قادراً على أن يتكلم ويعرف ويؤول الى آخره، أهداف نظرية اللغة المباشرة هي تمييز الحالات الخاصة عن الحالة الأولية المشتركة، وهذه هي أهداف الكفايتين الوصفية والتفسيرية المشار إليهما أعلاه.

ثانياً: الطبيعة الحاسوبية لملكة اللغة: فاللغة (ل) أعلاه تتضمن نسقاً معرفياً يخزن معلومات حول (الصوت) و(المنى) وبعد ذلك تقوم أنساق الإنجاز بتبليغ هذه المعلومات وتضعها قيد الاستعمال، وقد استدل على أنساق الإنجاز ليست جزءاً من (م. ل) وإنما هي مستقلة عنها، وهذا يؤكد على أن (م. ل) هي النسق المعرفي الوحيد الذي يقدم المعلومة اللسانية الى أنساق الإنجاز. وتتألف أنساق الانجاز من نوعين من الأنساق: (أ) أنساق حسية حركية. (ب) أنساق الفكر. الأنساق (أ) تبلغ مستوى وجيهي مستقل، وهو المستوى الذي تؤول عنده الجمل النحوية صوتياً أو ما يسمى بالصورة الصوتية، والأنساق (ب) تبلغ مستوى وجيهي آخر مستقل هو المستوى الذي تؤول عنده الجمل النحوية منطقياً ودلالياً، أو ما يسمى بالصورة المنطقية، وقد استعمل مصطلح السمات ليعبر عن ثنائية دي سوسور (صوت ومعنى) وذلك من أجل معرفة خصائص اللغة التي تدخل في بناء الصورة الصوتية والصورة المنطقية وكذا في النسق الحاسوبي الذي يقوم بتوليدهما، فإذا أخذت (ل) على أنها طريقة لحوسبة الجمل فإن النحو الكلي يحتاج الى الخطوات التالية لبناء هذه الجمل: (أ) مجموعة من السمات. (ب) مجموعة من المبادئ التي تنظم هذه السمات داخل وحدات معجمية. (ج) مجموعة من العمليات التي تنطبق سلكياً وحاسوبياً لتكوين الجمل النحوية.

وفيما يلي نقدم مثالاً نحوياً لبيان المراحل التي تمر بها الجملة من خلال بنية (سلّم زيد رسالةً) فهذه الجملة تدخل النسق الحاسوبي المخزّن في الذهن البشري سلفاً على النحو التالي:

أولاً: مجموعة من السمات التي تتألف مما يلي:

١) سمات صوتية بمقتضاها تؤلف بين السين واللام والميم في الفعل (سلّم) وتؤلف بين الزاي والياء والدال في (زيد)

٢) سمات تركيبية بموجبها نعرف أن الفعل سلّم يحتاج الى فاعل ومفعول.

٣) سمات دلالية بموجبها نتنبأ أن الفعل سلم يحتاج الى مسلّم ومسلّم ومسلّم اليه.

٤) سمات معجمية بموجبها نحدد أن الفعل سلم متعد وليس لازماً، وهذا المعلومات عن السمات مخزنة سلفاً في الذهن عن الفعل (سلّم).

ثانياً: السمات المذكورة تنظمها مجموعة من المبادئ من بينها (أ) مبدأ ضم (ب) مبدأ انقل.

مبدأ ضم يسمح بالتأليف بين مكونات الجملة السابقة وهي (سلم + رسالة) (زيد + زمن التسليم) على النحو الآتي، وتكون عملية الضم ثنائية بحيث تؤلف بين عنصرين على الأكثر كما يلي:

أولاً: تؤلف بين الفعل سلم وفضلته الرسالة ثم نختار العنصر الفاعل (زيد) ونضمه الى العنصر (ف) المكون من (سلم + رسالة) ، وفي الخطوة الأخيرة من عمليات الضم نقوم بضم الزمن (ز) الى العناصر السابقة

وبعد الانتهاء من عمليات الضم نبدأ بتطبيق المبدأ المتعلق بالنقل، فيتم نقل الفعل (سلم) إلى (ز) ليتمكن الفعل من إسناد إعراب الرفع الى الفاعل (زيد)، بموجب مبدأ المجاورة الصارمة، أما إعراب النصب فقد تم إسناده الى الفضلة (رسالة) بموجب مبدأ الضم الأول، والنقل ليس اعتباطياً، بل هو مؤسس على مبادئ حسابية منظمة من قبيل مبدأ خطوة خطوة، ومبدأ السلكية الصارمة، ومبدأ المجاورة المنظمة في نظرية (س) خط التي ستكون محور الحلقات الموالية، وسوف نعمل مع أساتذتنا ذوي الاختصاص باللسانيات من أمثال: أ. د/ عبدالوهاب راوح وأ. د/ علي المخلافي ود/ محمد ناصر حميد وغيرهم على بلورة الكثير من المفاهيم والقضايا في اللسانيات المعاصرة.

* أستاذ اللسانيات المساعد
alzeraee@yahoo.com

دوحة الحب

شفيق علي القوسي

يا دوحة الحب جئنا نفرش الهدبا
ونستعيد عيونا زيتها نضبا
أتذكرين لنا أحبابا قد رحلوا
مع المغيب فأضحى حزننا سحبا
غرست في القلب ذكراهم لتحرقني
حيث اتجهت يصير الماء بي لهبا
أغمضت عيني لعلي ممسك بيد
كانت حياتي ولم أبلغ بها أربا
أصغيت للشوق يشدو فوق أشرعتي
وفوق صدري يغوص العمر مكتئبا
حلفت بالله يا أنسي ويا قدري
لولا غرامك هذا القلب ما طربا
يا دوحة الحب أدمى مهجتي شغف
لروعة الشوق والآمال قد وجبا
هذي الجراح تناديني لتفتك بي
مع الفراق حياتي أورقت حطبا
ألقيت عشقي على همس يسائلني
والقلب يرنو لشوق ممعن هربا
تعبت شوقاً وبات الفكر في كدر
من نار هجري أبقى الدهر مغتربا
كل الخواطر تاهت في مخيلتي
يا هل ترى أينال القلب ما طلبا
يا ويل حبي من الآهات أبحره
تفيض ماء وقلبي بعد ما شربا
يا مهجة القلب عدت اليوم في لهف
أشكو إليك غراما سامني تعبا
كل الحروف كتبنا في مشاعرنا
ما مثل عشقي وحزني فيك قد كتبا
باللغرام يذيق العاشقين أسى
هذا فؤادي فيه الوجد قد سكبا
لم ينهب الكدر المسعور خاطرتي
ربيع شوقي هو النبع الذي نهبا
يا منتهى القصد حزني وافر وأرى
وجدي مديدا وصبري عنك مقتضبا
لا أبعد الله أياما بقربك قد
حلت ولكنها مرت فوا عجبا
إني اتخذت شهوداً بالذي صنعت
أيدي النوى بي إن أنكرتي النوبا
الحزن فاللهم فالدمع الغزير غدا
كالمزن يهمي يثير الآه والنصبا
وابيضَّ طرفي واسودت مدامعه
واسود طرف اصطباري بعدكم وكبا
يا من عشقتك حتى اثمرت أملا
أغوار روحي وذاب الوجد بل ذهبا
عودي إليَّ كغيث نافع غدق
قد بات هجرك يذكي مهجتي لهبا.

آخر أيام يعقوب الوراق

عبدالوهاب الضوراني

■ اينما يحل وتطأ قدماه يشيع في المكان وقلوب الناس ظلالا من التوجس والقلق وعدم الارتياح.. يعقوب الوراق الملقب بهولاكو وجنكيزخان حارة المطراق . وباب المشرف .. له كل يوم حكاية . وعلى كل لسان ألف رواية ورواية ، رجل مريب غير مرغوب فيه وفي معاشرته، اليوم الذي يرتاد فيه قهوة المحاوته أو خيمة الزوملة لإحياء الموالد وشعائر الزار ينفض الجميع من حوله ويتلاشون كفقاقيع صابون دفعة واحدة فيشيعهم الرجل في شيء من التوتر والانفعال قائلا وهو يبصق ارضا : الله يلعن الحارة وأهلها !

لايحجم عن ارتكاب اية حماقات أو نزاعات لأتفه وأبسط الاسباب .. ومقابل حفنة دارهم أو وعود وإغراءات جوفاء كاذبة لايتورع عن ارتكاب جريمة قتل .

يوسع يوما مكانا شاغرا بجانبه في قهوة المحاوتة للقاضي عياش باقاضي مفتي وامام الجامع الكبير يخليه عنوة لشخص آخر كان يشغله مرحبا به في شيء من المجاملة والمواربة في آن : استحلفك بالله ان تشرف وتبارك المكان، ياحاج حلت بركاتك!

يوليه العجوز ظهره بلامبالاة ويدفع امامه احد احفاده بقوة كادت تفقده توازنه وهو يبرطم في اعقابه بنرفزة – الله يلعن القهوة والحارة ويلعنك في يوم واحد ! .

من عادات الوراق السيئة ملاحقة واقتفاء اثر نساء وفتيات الحارة .. يهرع يوما في شهامة ذكية مفتعلة لاستعادة توازن فردوس بائعة اللحوح المرأة السيئة السمعة في سوق الحدادة القديم وهي تترنح وتكاد تقع ارضا تحت وطأة صفيحة ماء مترعة لفوهتها، يشيعها بعد تأدية دور الرجل الشهم ابن الحارة بصوت متهدج محشرج وانفاس متقطعة:

– فردوس .. فردوس ولا غيرها من نساء المطراق!

من عاداته الاكثر سوءا وشيوعا وازدراء ايضا مطاردة والتنكيل بجثث الفئران والقطط الميتة امام المارة وفي الموالد ومبارز القات مما يجعله عرضة لتهكم وتندر وشماتة الجميع .. يتورط يوما في مطاردة وملاحقة زوجة دحروش العاقل، يترصده الرجل الفظ وهو يتبادل كعادته نكاتا سافرا مبتذلا من زبائن وصعاليك قهوة المحاوتة ، يمطره لتوه وابلا من الشتائم وعبارات التقريع التي لايوليها الوراق بدوره اهمية أو أذنا صاغية البتة ، ويتشاغل بتبادل مزيد من القهقهات وتبادل النكات إمعانا في الاستهانة وعدم الاكتراث ، فيستأنف الرجل طريقه وهو يواصل زمجرته وشن غضبه : العيب مش عليك ياوراق يانذل ، العيب على الصعاليك والاوباش حولك .

يشاع ان الوراق يمارس الى جانب عاداته وموبقاته وحماقاته عددا من الصفقات المريبة والانشطة المحظورة وانه يتبنى عقد صفقات مع تجار سلاح ومتطرفين اجانب .. يقاطعه اهل حارة المطراق ويتفادونه كوباء .. يصبح في ثوان شخصا غريبا منبوذا غير مرغوب فيه كما يتعرض للعديد من الملاحقات القانونية وتصدر في حقه فتوى شرعية بالنفي خارج الحارة، يودع مرات عديدة في اقسام الشرطة .

إلا انه كان لايلبث يفلت منها بأعجوبة وتحت ضمانات وتأثير اصحاب الرآي والنفوذ وما اكثرهم في حارتنا ، في آخر أيام يعقوب الوراق تتولاه حالة نادرة من الهستيريا وغرابة الاطوار يرقبه المارة في باب المشرف ومنطقة المحوات في هيئة المجانين مهملا اشعث يقهقه ويسب ويشتم تارة ويهدد ويتوعد بالانتقام طورا آخر .. ثم لايلبث يلتقط فأرا ميتا من برميل قمامة قريب ازدرده بشراهة ونهم امام موجة من الانتقادات والتنديدات وعبارات الشتائم والاستهجان، ومرة اقبل قابضا على ذيل قط ميت ينفث رائحة مقززة مليئة بإفرازات متراكمة لوح به امام انظار رواد قهوة المحاوتة مداعبا ثم ما لبث أن التهم جزءا منه، افرغ بعدها كل ما حوته معدته من قاذورات دفعة واحدة .. مسكين الرجل . لقد جن يعقوب الوراق .

من يصدق ان هذا هولاكو وجنكيزخان حارة المطراق ؟؟ يشاع ان يعقوب الوراق اودع في آخر أيامه زنزانة منفردة داخل معتقل الشريف .. وانه لقي حتفه داخل المعتقل .

كمرية الشاعر

محمد أحمد الشامي

منه إليَّ، وليس مني إليه أهدي هذه الأبيات لأستاذي القدير/ محمد القعود.. صاحب أنقى قلب عرفت..

أطفأت في عُلب الحروف سجائري
وحبست في ضيق السنين خواطري
علّقتُ مشنقتي بأسفل غُرفتي
ونسيتُ زيفك كالزمان الغابرِ
المجد يطلبني وأطلبه سُدىً
يا مجدُ- هادمُك استبدَّ بعامريْ
أوقدت من عينيك كُلَّ قصيدة
لتظل حاضرة الحنَّين منائري
كم لي أغوصُ إلى نهاية مهُجتي..
أصبحتَ شِعري والدموعُ دفاتري
صادرتُ أوقاتي أُلقِّنُها الوفاْ
حتى أراك.. ،خسرتُ كُلّ مصادري!!
هنْدستُ أُمنيةَ الخلودِ فخانني
دهرٌ يبيحُ مَتاحفي وجواهري
ويلومني إن طال تحديقيْ له
وبوجهه لغةُ الجمال الآسرِ
أو لم يكنْ يَدري بأنَّ خيالَهُ
لماّ تراه العين يرقُصُ خاطري
ويثُوهُ قلبي عن تلاوة نبضه
وتهزُّ كهربةُ الأكفِّ مَشاعري
إن لم أشاهدهُ اشتغلتُ بذكره
وإذا التقيتُ به استبدَّ بناظري
●○●
لولاكَ لم أقبل سوى ما أشتهي
ورفضتُ قسوة كلِّ حُكم جائرِ
أحببت في «الإبل الصغار» نقاوةً
حلّقتُ أزمنةً.. وحلَّق طائري
لو قُلتَ لي ما كنتُ أخسرُ مهجتي
وأبيتُ أن أمضي بصفقةِ خاسرِ
لا تبكني، يومُ ارتحالي قد دنا
ما دمتَ هيّجتَ الرحيل بصافرِ
وابك الدموع، إذا ادّكرتَ لشاعرٍ
جعل الوفاء كرامةً للغادرِ
خُذْ ما أردتَ من الحياة وذرَّها
ذرَّ المشُوقِ إلى الحبيبِ النّافرِ
قوننت للأشواق أنظمة، وقد
ذُبحت على مسرى يديك كوادري
فلففت جرحي بالتصبّر بعدما
أغمدتَ صدرك في نصال خناجري
تأبى الولوج، أليس بيتُك داخلي
إرم التعفُّفَ قد جرحت تفاخري
من أجلك القلبُ استلذَّ عذابهُ
ليعيش في وضعٍ كعجل السامري
فأصبُّ في كأس الهوى بعضَ الذي
عتَّقتُ من شفتيك خمر سرائري
أنتَ القصيدةُ، والربابةُ والصدى
والصوتُ في خطِّ الزمان الدائري
هبْ لي جناحاً كي أطيرَ بهِ إلى
ملكُوتِ عرشك كالملاكِ الطاهر

صنعاء– ٣ يونيو ٢٠٠١م

النّعال في الادب العربي

أمين حسين الريامي●

■ إن المفهوم السائد –لدى معظم الناس– أن النعال بجميع انواعها لم تدخل حياة الانسان العربي، إلا بعد الثورة الصناعية والتكنلوجية، وبخاصة في بلادنا التي عانت وكابدت كثيرا من الفقر والحرمان.. حين كانت في معزل عن العالم ومايجري فيه، وبالتالي مايحدث من قفزات في عجلة التطور، ومنهم من يقول لا.. بل ظهرت أول مظاهرت لدى الانسان الاوروبي إبان النهضة الأوروبية، ثم بعد ذلك تسللت إلى الحياة العربية .

وحقيقة أن كلا المفهومين خاطئ في تصوره ومجانب للصواب فلقد عرف الانسان العربي النعال منذ العصور القديمة، وكانت صناعتها استجابة لعناصر البيئة والتطور، وقد ورد ذكر النعال في القرآن الكريم في قصة موسى – عليه السلام – في قوله تعالى«إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى» كما ذكرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مطلع حديثه وحث على لبس النعال قائلا: «من اتخذ نعلا فليستجدها» ويقول أيضا «استكثروا من النعال فإن الرجل لايزال راكبا مادام منتعلا» اذن فالنعال العربية قديمة قدم الانسان العربي نفسه.. ولهذا أردت في هذه العجالة أن أسلط الضوء على معلومة كانت ومازالت شبه غائبة عن أنظار الكثيرين.

والنعل في اللغة هو ما وقيت به رجلك من الأرض، تقول نعل نعلا، وانتعل وتنعل : أي لبس النعل.. ويسمى أيضا الحذاء، يقال: إحتذى إذا لبس الحذاء، واحتذى يحتذي اذا انتعل، والحذو تعني التقدير أو القطع.. والحذوة كما شرحها ابن الاثير: هي ماسقط من الجلود حين تنشر يقول الشاعر العربي:

وقس بالتجارب إغفال الأمور كما
تقيس نعلا بنعل حين تحذوها
أموالنا لذوي القربى نحملها
ودورنا لخراب الدهر نبنيها

لقد عرف الانسان العربي النعال، بل وتفنن في صنعها ولبسها ومدحها، ومما يلفت النظر أن نجد لها تلك الاهمية الكبرى في حياتهم وأدبهم، حتى أنهم كانوا يلهجون بذكرها.. كما قال الجاحظ «العرب تلهج بذكر النعال والفرس تلهج بذكر الخفاف» والخفاف نوع من أنواع الأحذية التي نهى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نساءهم عن لبسها لأنها كما يقولون من زينة آل فرعون.

أنواع الأحذية:

من الصعب حصر أنواع الاحذية والنعال، فقد سميت بأسماء مختلفة حسب الشكل الذي تظهر فيه، أو الخامة المصنوعة منها، ومنها مايسمى نسبة الى البلد الذي صنع فيه، واكثر ماعرفت النعال بتسميات شتى في العصر العباسي، إذ ظهر مايربو على ثلاثة عشر نوعا، منها «المشاية» وتصنع من الجلد الأحمر وكان يستعملها اهل الموصل وحلب ، «البطان» وكان يستعملها القرويون في الاندلس، «البلغة» وهو نوع من انواع الاحذية في المغرب العربي، «الباروة» وتصنع من الحلفاء والفرق أو الفلين وترتديها النساء الصغيرات، «السمط» وهذا النوع هو الذي لارقعة فيه ويرتديه المترفون، «السبت» وهذا نوع من النعال الجيد التي كان يفتخر بلبسها الشعراء– وسميت بالسبت لأن شعرها قد سبت منها، وهي من النعال التي كان يرتديها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، «اللاكة» وهذا نوع من النعال يربط بأربطة «الملسنة» وهذا نوع شكل من النعال – سميت كذلك لأنها على شكل لسان، «الممسوحة» أي غير مخصرة، وكانوا يسمونها «الملس» وهذا النوع من النعال التي لم يستحبها العرب، فقد روي عن الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انه قال «لاتحتذوا الملس فإنها حذاء فرعون» وهناك نعال تسمى المخصوفة، أي مخرزة، وكان الاعراب يلبسونها لكثرة تنقلهم وحركتهم وكذلك مثلها «المطبقة» هذه التي كان يلبسها الشطار والعيارون، تلك هي بعض أنواع الاحذية والنعال التي عرفتها العرب وتداولتها لبسا ومدحا وتفننا مابعده تفنن، وقد أورد بعضها الكاتب العراقي، خير الدين عبدالله حسين في مقاله بمجلة العربي العدد (٣٧٠) بعنوان «نعال عربية بالمسك والعنبر» اخذنا منها مع بعض التصرف النعال وحكايتها في الادب العربي:

نظراً لأهمية النعال عند الانسان العربي فقد الصقها في كثير من أشعاره، بل وامتدحها كما امتدح لابسها، ولاغرو في ذلك فقد قيل انه وجد في خزانة هارون الرشيد أربعة آلاف زوج من الخفاف وقيل ايضا أن زوجته اتخذت الخفاف المرصعة بالجواهر، نعم فلقد بالغ بعض نساء العصر العباسي في زينة خفافهن، حتى كن ينقشن عليها الاشعار بالذهب، وهذان البيتان لإحدى الظريفات كتبته على نعلها :

لم ألقَ ذا شجن يبوح بحبه
إلاّ حسبتك ذلك المحبوبا
حذراً عليك وانني بك واثق
الا ينال سوأي منك نصيبا

ومن طرائف وصف النعال المترفة أن إحدى سيدات البلاط العباسي– وهي أم المقتدر – كان يصنع لها نوع من النعال المبطن بالمسك والطيب، ولذلك لم يكن غريبا حين انشد بشار بن برد يمتدح نعلها قائلا:

إذا وضعت في مجلس القوم نعلها
تضوع مسكا ما أصاب وعنبرا

وهذا شاعر يتحدث بحصافة وحكمة عن مقادير الرجال وتقلبات الزمان، فيستغل النعل ايما استغلال ليضرب به المثل فيقول:

الناس مثل زمانهم
قد الحذاء على مثاله
ورجال دهرك مثل دهرك
في تقلبه وحاله
وكذا إذا فسد الزمان
جرى الفساد على رجاله

وهذا شاعر اتى بذكر النعال على انه يصفها، وهو لم يرد وصفها وانما اراد إلصاق تهمة الطغيان والبغي على بني غراب –كما سيأتي– وذلك حينما تخضر أرضهم وتخصب

إذا اخضرت نعال بني غراب
بغوا ووجدتهم أسرى لئاما

فـ«اخضرت النعال» كناية عن النعم والخيرات الوفيرة الحاصلة نتيجة اخضرار الارض وخصبتها، وقول الشاعر:

واطول في دار الحفاظ إقامة
وأوزن احلاما اذا النعل اخضلا

وللنعل مع الشعر والادب وقفات ووقفات كما هو الحال مع الخيل ، السيف ، العصا، العمامة... والخ ومن لم يسمع عن خفي حنين.

ومعنا هنا الاديب توفيق صفوت الذي زار يوما صديقه الشاعر نعمة قازان– صاحب مصنع الاحذية، فظفر الاول من المصنع بحذاء هدية، ومن صديقه الشاعر بهذين البيتين:

لقد أهديت توفيقا حذاء
فقال الحاضرون وما عليه
أما قال الفتى العربي يوما
شبيه الشيء منجذب إليه

فرد الصديق التحية بأحسن منها قائلا:

لو كان يهدى الى الانسان قيمته
لكنت استاهل الدنيا ومافيها
لكن تقبلت هذا النعل معتقدا
أن الهدايا على مقدار مهديها

نكتفي بهذا القدر، وأخيرا نختم مقالتنا بهذه الابيات لخلف الأحمر – دونما تعليق يعكر صفوها:

سقى حجانا نوء الثريا
على ماكان من مطلٍ وبخلِ
همُ جمعوا النعال فأحرزوها
وسدوا دونها بابا بقفلِ
إذا أهديت فاكهة وشاةً
وعشر دجائج بعثوا بنعلِ
ومسواكين طولهما ذراع
وعشر من رديِ المقل خشلِ(١)
فإن أهديت ذاك لتحملوني
على نعلٍ فدق الله رجلي

(١) المقل: ثمر شجرة الدوم ينضج ويؤكل ، والدوم شجرة تشبه النخلة في حالاتها، ويقال للمقل خشل اذا كان يلبسها.. «الجاحظ»

* هذه المقالة كتبها الراحل الشاعر أمين رحمه الله.. ولم ينشرها في حياته إثر تعليقات نمت إليه تقول : لم يجد ما يكتب إلا عن الأحذية وهانحن ننشرها بعد موته.